المحاضرة الثالثة

(ابن الجنان الأنصاري)

أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري ، ليس لدينا معلومات عن نشأته وحياته الأولى لكنا نعلم من قصيدته الفائية بأنه كان شديد التعلق بأبيه لا سيما بعد أن رحل عن مدينته مرسية إلى أوريوله سنة ٦٠٤ هـ وكانت هجمة الإسبان عليها شديدة .

ديوانه وموضوعاته الشعرية :

على الرغم من غزارة نتاج شاعرية ابن الجنان فإننا لم نقف على إشارة إلى ديوان شعره أو رسائله ، وجل ما وصل إلينا ما جاء برواية واحدة أو مصدر واحد وتعرض الكثير منها للتصحيف والتحريف . نستطيع أن نطلق على شعر أبي عبدالله بأنه شاعر المديح النبوي في القرن السابع الهجري . وأبرز موضوعاته الشعرية الإلهيات والنبويات والأخويات والرثاء .

والموضوع الأول والثاني يؤلفان حوالي نصف الديوان ، فمن قوله في الموضوع الأول :

يا حادي الركب قف بالله يا حادي وارحم صبابة ذي نأي وإبعاد

ما ينبغي عنك إلا أن تصيح له سمعا ليسأل عمن حل بالوادي

وقوله عن شهر رمضان :

فيا عهده ما كان أكرم معهدا ويا عصره أعزر على أن انقضى

ألم بنا كالطيف في الصيف زائرا فخيم فينا ساعة ثم قوضا

وثاني أبرز موضوعين هو النبويات ، ونريد بها مدائحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) فمن ذلك قوله :

صلوا على خير البرية خيما وأجل من حاز الفخار صميما

صلوا على نور تجلى صبحه فجلا ظلاما للضلال بهيما

وثالث موضوعاته هو شعر الأخويات والمراجعات ، وهو موضوع تميز به الشاعر تميزا ملحوظا . وقد أكثر النظم فيه أمثاله من الشعراء والعلماء والفقهاء الذين كانت صلاتهم قوية مع بعضهم ، وكانت المنتديات تجمع فيما بينهم .

وأبرز علماء عصره الذين كاتبهم شعرا ونثرا أبو بكر بن المرابط من ذلك قوله :

دنا العيد ليت العيد لم يدن وقته فقد هاج لي وجدا وزاد غراما

فمن لي بأعياد تعيد مسيرتي بمغنى به خط الجلال حماما

ومن ذلك قوله :

يا ليت شعري هل يرى من بعد فرقتنا اجتماع ؟

إني سألتك ذاهلا والفكر في كف الضياع

أما الرثاء فقد سلك فيه الشاعر أفانين كثيرة وسبلا متعددة على نحو ما يقول :

لا أمنع الدمع أن يهمى أن يكفا ولا أزال بربع الحزن معتكفا

وقوله :

دعوني وتسكاب الدموع السوافك فدعوى جميل الصبر آفك

أما أبرز السمات الفنية فقد كانت أشعاره في مجملها مطبوعة غير متكلفة . ولكنه كان معنيا بلغته وأسلوبه . وفي بعض قصائده يتخير الأساليب وفصاحة الألفاظ ويبنيها بلغة متميزة . فضلا عن اعتماده المحسنات البديعية كالجناس في قوله :

تراهم سواما من سراهم أصبحوا رسوما على ذلك الرسوم عوالجا

لهم من منى أسنى المعنى ولدى الصفا يرجون من أهل الصفاء المناهجا